

خطب منبرية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل

69. الرّاحة الكاذبة

17 محرّم 1381هـ الموافق 30 جوان 1961م



الحمد لله الّذي ألهم عباده إلى طريق السّعادة، وساقهم إلى ميدان التّضحية والشّهامة؛ ليأخذوا بذلك حظّهم، وينالوا مقاصدهم وأهدافهم، وأشهد أن لا إله إلّا الله، يتصرّف في ملكه بحكمته وتدبيره، ويعلم كيف يدحض أباطيل أعدائه، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي علّمنا الصّبر على الشّدائد، وعرفنا كيف ندفع أنواع الشّرّ والمكائد، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين تخلّصوا من غوائل أعدائهم، وفازوا على جميع خصومهم، وفّقنا الله للاقتداء بهم، واقتفاء آثارهم وطريقهم.

أمّا بعد: فإنّ الاعتبار بالحوادث، واستخلاص التّجارب من تداول الأيّام وتطوّراتها تعطي لأولي البصائر فكرة سديدة تلهمهم إلى رشادهم، وتعرّفهم بقيمة نفوسهم وكنه حياتهم، كما قال الله –جلّ جلاله–: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [الأنعام: 104]

وليعلموا بعد ذلك أنّ التّخلّص من جميع المحن ،والقضاء على هذه العقبات الّتي تعرقل مصالح ديننا ودنيانا، هو الدّخول إلى ميدان جديد في هذه الحياة الّتي اختبرناها وعرفنا فيها جميع السّبل الّتي تحفظ كياننا ومجتمعنا، وذلك بأن نعتقد اعتقادًا جازمًا أنّ السّبيل الوحيد لعزّنا وإحياء نهضتنا هو العمل المثمر في جميع الميادين الّتي يتطلّبها منّا الواجب الدّينيّ،

والتّسابق إلى أنواع الخير، والتّعاون الجماعيّ الّذي يتقدّم بنهضة هذه الأمّة إلى مرامي عالية، ويكسبها قوّة شاملة في جميع المرافق الحيويّة.

أمّا الإحجام عن الدّخول إلى المغامرات، والتّواكل أو الإخلاد إلى الرّاحة الكاذبة، فكلّها عوامل خائبة، تقصينا عن جميع أسباب الرّفعة والمكانة اللّائقة بقيمة المؤمنين الّذين شرّفهم الله في كتابه، ووعدهم بنصره وتأييده.

وعلى ذلك يجب علينا أن نتغلّب على جميع الصّعوبات، ومن جملتها التّغلّب على نفوسنا، واتّباع طريق الدّين الإسلاميّ الّذي فيه كلّ خير ورفاهية وعزّة، والمؤمن الحقيقيّ هو الّذي يستمسك دائمًا بقوّة الله، ولا يخشى سطوة أهل الباطل مهما كانت أنواع عنفهم ومضايقاتهم؛ لأنّ قوة إيمانكم بخالقكم تفتح لكم آفاقًا واسعة، وتلهمكم إلى طريق الرّشاد والسّداد في تفكيركم وأعمالكم، وتجعل الرّعب في قلوب أعدائكم.

وكلمّا بالغتم في التّضحية والعمل النّافع، والازدياد من أنواع الإحسان، إلّا كان لكم عزّة، ورفعة، وبعدا عن أنواع الذّلّ وأسبابه، كما قال الله –جلّ شأنه–: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: 26]